السَّنةُ الثانيةَ عشرةَ بعد المئتين

فيها أَظهر المأمونُ القولَ بخلق القرآن، ولم يسبقْه إلى هذا أحد، وثارت الفتنُ في الدنيا، واشمأزَّت قلوبُ الخواصِّ والعوامِّ منه، وامتحن العلماءَ، وآذاهم وضربهم وسجنهم ونفاهم. وقويت شوكةُ الخوارج.

وخلعه أحمدُ بن محمدِ العمريُّ باليمن، ويُعرف بالأحمر العين، فبعث إليه محمدَ ابن عبدِ الحميد [ويُعرف بأبي[1] الرازي].

واشتدَّت شوكةُ بابك، فأغار على البلاد، فبعث إليه المأمونُ محمدَ بن حُميد[2] الطوسيَّ لمحاربته.

وفيها في ربيعٍ الأوَّل كتب المأمونُ إلى الآفاق بتفضيل عليِّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه على جميع الصحابة، وقال: هو أفضلُ الناسِ بعد رسولِ الله ﷺ.

وفيها توجَّه المأمونُ إلى دمشقَ فصام بها رمضان. وصلَّى بالناس عيدَ الفطر عبدُ الله ابن عُبيد الله بنِ العباس بن محمد بن عليِّ بن عبد اللهِ بن عباس، ثم توجَّه فحجَّ بالناس.

وفيها توفي

أحمدُ بن أبي خالدٍ

أبو العباس، وزيرُ المأمون[3]. كان أبوه كاتباً لأبي عبدِ الله وزيرِ المهدي.

وكان أحمدُ فاضلاً مدبِّراً جَوَاداً، ذا رأيٍ وفطنة، إلَّا أنه كانت له أخلاقٌ وفَظَاظة، قال له رجلٌ يوماً: واللهِ لقد أُعطيتَ ما لم يُعطَه رسولُ الله ﷺ، فقال: واللهِ لئن لم تخرجْ ممَّا قلتَ لأعاقبنَّك، فقال: قال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأنت فظٌّ غليظُ القلب وما ننفضُّ من حولك.

---

(١) في (ب): بابن، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٦١٩، وابن الأثير ٦/ ٤٠٨.

(٢) في (خ): حسين، والمثبت من (ب)، وهو الموافق للمصادر.

(٣) تنظر ترجمته في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٦-٣٢٧، والمنتظم ١٠/ ٢٤٣-٢٤٤، والسير ١٠/ ٢٥٥-٢٥٦، والوافي ٨/ ٢٧٢-٢٧٤.

ومازح أحمدُ يوماً ثُمامةَ بن أشرسَ في دار المأمونِ بمحضرٍ من الناس فقال: يا ثُمامة، كلُّ مَن ها هنا له معنًى إلَّا أنت، فإنَّك لا معنى لك، فقال ثُمامة: بلى، معناي أنَّني أُشاوَر في مثلك هل يصلح للوِزارة أم لا.

وكان المأمونُ قد سأل ثمامةَ أن يليَ له الوزارةَ فأبى، فقال: أَشِر عليّ، فقال: أحمدُ بن أبي خالد، يقوم بالأمر حتى ينظرَ أميرُ المؤمنين فيمن يصلح.

وقال إبراهيمُ بن العباس: دخلتُ على أحمدَ وقد ألحَّ عليَّ الهمّ، فترنَّمت وقلت: [من الهزج]

أرى الموتَ لمن أَمسى ... على الذُّلِّ له أصلحْ
أَلَا [يا][1] أيُّها القلبُ الـ ... ـذي بالهمِّ قد يَطفحْ
إذا ضاق بك الأمرُ ... ففكِّر في ألم نَشرَحْ
فإنَّ العُسرَ مقرونٌ ... بيُسرَينِ فلا تَبْرَحْ

قال: فزال همِّي فسُررت.

ومات يومَ الاثنين لعشرٍ خلونَ من ذي الحِجَّة سنةَ إحدى عشرةَ ومئتين، وقيل: سنةَ اثنتي عشْرة، وصلَّى عليه المأمون، فلما دُلِّي في قبره ترحَّم عليه وقال: يا أحمد، كنتَ واللهِ كما قال الشاعر: [من الطويل]

أخو الجِدِّ إن جَدَّ الرِّجال وشَمَّروا ... وذو باطلٍ إن كان في القوم باطلُ[2]

[وفيها توفي]

إسماعيلُ بن حمَّاد[3]

ابنِ أبي حنيفةَ النعمانِ بن ثابت [وكُنيته] أبو عبدِ الله، وقيل: أبو حيَّان. كان عالماً زاهداً عابداً وَرِعاً، وكان المأمونُ يثني عليه [وسنذكره في ترجمته].

---

(١) ما بين حاصرتين لضرورة الوزن، وانظر الفرج بعد الشدة ١/ ١٠٧، وبهجة المجالس ١/ ١٨٣.

(٢) المنتظم ١٠/ ٢٤٤، والوافي ٨/ ٢٧٤.

(٣) تنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٢١٦-٢١٨، والجواهر المضية ١/ ٤٠٠-٤٠٣، وباقي مصادر ترجمته ثمَّة.

وقال [الخطيبُ[١] بإسناده إلى] محمدِ بن عبد اللهِ الأنصاريِّ [أنه قال:] ما وَلِيَ القضاءَ من لَدُنْ عمرَ بن الخطاب ﷺ إلى اليوم مثلُ إسماعيل [بن حمادِ بن أبي حنيفة] فقيل له: ولا الحسن [البصريّ؟! فقال: لا واللهِ، ولا الحسن.

وقال الخطيب[٢]: كان إسماعيلُ بن حمَّاد أحدَ الفقهاء على مذهب جدِّه أبي حنيفة] وكان ولي القضاءَ بالجانب الشرقيِّ من بغدادَ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئةٍ بعد محمدِ بن عبد اللهِ الأنصاري، فأقام مدَّة، ثم صُرف وولِّي قضاءَ البصرة [في سنة عشرٍ ومئتين] لمَّا عُزل يحيى بنُ أكثمَ عنها، ثم عُزل عنها بعد سنةٍ بعيسى بنِ أَبَان.

[قال الخطيب: ولما عُزل إسماعيلُ عن البصرة [شيَّعه[٣] أهلُها ودعَوا له، وقالوا: عففتَ عن أموالنا ودمائنا، فقال: وعن أبنائكم. يعرِّض بيحيى بنِ أكثم[٤]. وفي رواية ابنِ يحيى: لما عُزل عن البصرة وخرج عنها، التقى إسماعيلَ بن حماد وهو داخل، فوقف ابنُ أكثمَ يُثني عليه ويقول: واللهِ يا أهلَ البصرة ما وليكم مثل إسماعيلَ العفيفِ عن أموالكم ودمائكم، فقال إسماعيل: وعن أولادهم. فوجم يحيى. وقيل: كانت الواقعةُ بالكوفة.

[وحكى الخطيب[٥] عن] إسماعيلَ قال[٦]: ما ورد عليَّ مثلُ امرأةٍ تقدَّمت إليَّ فقالت: أعزَّ اللهُ القاضي، إنَّ ابن عمِّي زوَّجني من هذا ولم أعلم، فلما علمتُ رددتُ، فقلت لها: متى رددتِ؟ فقالت: وقتَ ما علمت. قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقتَ ما رددت. فما رأيتُ مثلَها.

و[قال أبو العَيناء:][٧] لما ولي إسماعيل القضاء، دسَّ إليه محمدُ بن عبد الله الأنصاريُّ رجلاً يسأله عن مسألة، فقال له: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت.

---

(١) في تاريخه ٧/ ٢١٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في تاريخه ٧/ ٢١٦. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): فشيعه. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) أي: في اللواط. كذا في تاريخ بغداد ٧/ ٢١٨.

(٥) في تاريخه ٧/ ٢١٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في (خ): فقال إسماعيل.

(٧) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٢١٧.

فقطع إسماعيلُ الكلامَ عليه وقال: قل للذي بعثك إنَّ القاضيَ لا يفتي.

أسند إسماعيلُ عن أبيه [عن جدِّه[١]، وعن مالك بن مِغْوَل، وعمر بن ذَرّ، ومحمدِ ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب، والقاسمِ بن مَعن، وأبي شهابٍ الحنَّاط] وغيرِهم[٢].

وروى عنه غسانُ بن المفضَّل [الغَلَابي، وعمرُ بن إبراهيمَ الثَّقفي، وسهلُ بن عثمان العسكري، وعبدُ المؤمن بن عليٍّ الرازي، في آخرين].

وكان ثقةً صدوقاً [أميناً فاضلاً] لم يغمزْه سوى الخطيب، فإنه روى عن سعيد بنِ سالم[٣] الباهليَّ قال: سمعتُ إسماعيلَ في دار المأمونِ يقول: القرآنُ مخلوق، وهو دِيني ودينُ أبي وجدِّي.

قال المصنِّف رحمه الله: لو صحَّ أنه قال ذلك؛ فإنَّما قال تقيَّة؛ لأن المأمونَ ما أبقى في الإكراه على هذا القولِ بقيةً لنا.

والحمد [لله] وحده وصلى الله على سيّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

(١) في (ب): وعن جده. ولم يدرك جده كما في الفوائد البهية ص ٨١.

(٢) في (خ): وغيره. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ): سلام، والمثبت من تاريخ بغداد ٧/ ٢١٨.